مطواعية الفلكلور وهيمنة وسائل التواصل الاجتماعي ومتداخل السيول لباومن- بحث في سوسيولوجية المجتمع العربي

أ.د شفيق إبراهيم صالح & أ.د نادية صباح محمود

الخلاصة :

تضمن البحث الإشارة إلى أن الواقع الاجتماعي الاقطاعي، افرز متغير الثورة على هذا الواقع وهو ما شكل صورة للحداثة التي انطلقت من نقد ثوابت العقل المقدس للإقطاع، إلا أن الحداثة انتجت عقلاً مقدساً آخر مارس ذات الاضطهاد تجاه المجتمع حتى انتهى الأمر إلى ظهور اتجاه نقدي لاذع شكل عصر ما بعد الحداثة ويُعد تنظير باومن لذلك من اكثر الاتجاهات النظرية انتشاراً، حرص الباحثان على ابراز مفاهيم باومن في دراسة الفلكلور العربي الذي تماشى إلى حدٍ ما مع مفاهيم ما بعد الحداثة ومن ابرزها مفهوم السيولة بفعل هيمنة وسائل التواصل الاجتماعي.

The obedience of folklore, the dominance of social media, and the interfering of torrents by Baumann - Research in the sociology of Arab society

Prof. Dr. Shafiq Ibrahim Saleh & Prof. Nadia Sabah Mahmoud

Abstract

The show is an indication that the feudal social show produced the variable of the revolution on this reality, which formed a picture of modernity that started from criticizing the constants of reason for feudalism. Postmodernism, flying in the governmental edition, and its copy from Dar Mafakoum on the concept of the concept of the concept known as the concept of the concept of Arab folklore.

المقدمة :

لا شك أن الاشياء في تغير مستمر، ولا ثابت كما يقال إلا التغيير. ومثلما كانت الحداثة تغييراً وانقلاباً على مفاهيم المجتمع عصر النهضة، كانت مفاهيم ما بعد الحداثة انقلاباً عليها.

والشيء المحدث عند الظهور ثيير انتباهاً، فيلتف حوله ما شاء الله من باحثين ومهتمين، وبفعل نجاحاته إن كان ايجابياُ في فائدته الاجتماعية يتحول مع تقادم الزمن إلى ثابت يترسخ بقواعد، يصبح من الصعب تغييرها إلا أنها في ذات الوقت تفقد فاعليتها الوظيفية بحكم مجمل التغيرات المجتمعية، فيصبح تعديلها وتغييرها حاجة اجتماعية تلبي مختلف المتطلبات على اختلاف اشكالها.

والحداثة كانت هي الجديد الذي لبى متطلبات المجتمع في عصر التقدم والحاجات الجديدة في ظل الثورة الصناعية، وبقدر مقبوليتها وفاعليتها الوظيفية، اكتسبت قدسية، إلا أنها كما اسلفنا تصبح أقل قدرة على الإرضاء المجتمعي بحكم المستجدات والتغيرات الجديدة، فتطلب الأمر إحداثاً عليها، فكان عصر ما بعد الحداثة.

وعولجت هذه القضية من قبل مفكرين عديدين تميز منهم سيجموند باون في نظريته عن السيولة. ونظريته تقوم على طرفي معادلة يمثل طرفها الأول الحداثة بما تحمل من ثوابت اطلق عليها باومن صفة الصلابة، وطرفها الثانية طبيعة التغيرات التي انتجتها والتي امتازت بالسيولة.

وقضيتنا التي نعالج هو الفلكلور في ضوء هيمنة وسائل التواصل ضمن تحليل باومن عن السيولة ضمن مخطط نظري على النحو الآتي:

1. مفهوم السيولة حسب باومن.
2. متداخل السيولة الثلاثي.
3. المجتمع والعناصر الخفية (الأقنيم) (وسائل التواصل الاجتماعي).
4. مطواهية الفلكلور.
5. مشروع التجديد.
6. الخاتمة.

1. السيولة حسب باومن:

إن مقدار صلابة قيم وعناصر الحداثة المتمثل هنا بالتكنولوجيا التي يصعب مواجهتها، قد فرضت نتائج وخيمة على الإنسان، من صورها الفردية بمجمل اشكالها (سياسية- اقتصادية..) لغياب التضامن الاجتماعي، وما ترتب على ذلك من قلق واغتراب ومشاكل أخرى عديدة.. فلا وضوح في الهدف.

وبفعل هيمنة الصلابة لابد للإنسان من وسيلة، وكانت السيولة هي إحدى هذه الوسائل وجوهرها، هو عدم الوقوف على موقف صريح منها بل امتزاج المواقف، وتباينها، التعامل بمنطق التلون الإيجابي مع النمط المهيمن، فلا وضوح في اسلوب التعامل مع الهدف غير الواضح.

2. متداخل السيولة الثلاثي:

تعددت المواضيع التي امتازت بالسيولة حسب باومن إلا أن الباحث وجد في ثلاثة منها (الحياة- الاخلاق- الزمن) تداخلاً يمثل الإنسان بالمعنى الاجتماعي، كما أنها تشكل اقانيم مقدسة تحمل معاني الحقيقة ففي الحياة نعيش وبالأخلاق ننتظم ويحويها الزمن كمؤشر مع المكان.

إن الحياة في عصر ما بعد الحداثة غدت مجرد استهلاك واصبحت معايير التقييم تتم وفق هذا المتغير تحت مسمى الاخلاق التي اتسمت بالامتداد خارج المألوف لتتلاءم وفلسفة الاستهلاك في حياتنا ذات الزمن اللايقيني والذي بدأ مع تفكك الأبنية الاجتماعية التي لم تعد قادرة على مسايره الجديد التقني زمن تخلي الدولة عن أداء دورها التقليدي وترك الأمر لسجية الفرد.

3. وسائل التواصل الاجتماعي (والمجتمع والأقنيم- العناصر الخفية)

يشكل متداخل السيولة الثلاثة (الحياة- القيم- الزمن) المجتمع بما يحمل من تشكيل خفي يعكس المجتمع ككل، في العالم الغربي وبفعل تأثير ما بعد الحداثة، أصبحت السيولة امراً معاشاً تعكسه وسائل التواصل الاجتماعي، فبدى المجتمع متخفياً بعناصره بحلة وسائل التواصل. وفي الغرب القيم وحسب باومن اكتست بطابع السيولة، تحاول احداث تغيير مستمر ويقابلها استجابة أيضاً مستمرة، ووسيلة التوافق بينها ذاك السائل الذي لا يسمح بالتصلب في المحدث (وسائل التواصل) ولا بالإنكار في المستجيب.

4. مطواعية (سيولة) الفلكلور

حين نتكلم عن الفلكلور إنما نتكلم عن المجتمع بصورته القديمة، والقديم وفق مفهوم السيولة يعني الصلابة– القيم الثابتة، أنه نموذج الشخصية الاجتماعية المتأصلة في المجتمع.

والفلكلور العربي بحكم متغيرات الواقع لم يكن سائلاً كما أصبح المجتمع العربي في كمثير من نواحيه، في ظل شيوع مفاهيم الديمقراطية ومواكبة التقانة، والربيع العربي أحد دلائل التغير الذي أصابه إلا أنه لم يصل بعد في كليته إلى ما وصل عليه المجتمع الغربي في سيولته حسب منطق العلم وواقعية الأحداث حتى وأن أكد ذلك بدلائلهم التي تبقى ضمن تأثير وسائل التواصل القائلين بسيولة المجتمع العربي ومنطق العلم يقول أن المتبوع غالب لا يسمح لمغلوبهِ الصول إلى منزلته وذاك فصل القول في الغالب والمغلوب.

وبعيداً عن منطق الغَلبْ السياسي لم يصبح الفلكلور سائلاً لكن المجتمع العربي الذي يحاول تأكيد قدرته على اللحاق بسلم التكنولوجيا، من خلال تمثله وسائل التواصل الاجتماعي وتماهيه مع الغرب، ونقل من خلال تلك الوسائل سيولة المجتمع الغربي، وأخذت حيزاً على صعيد الواقع الحقيقي، ودلائل ذلك على المستوى السياسي والأيديولوجيا العربية واضحة، ومثال ذلك التآلف السياسي بين تيارات متباينة عقائدياً إن لم تكن في ماضيها القريب في صراع مسلح.

إلى جانب هيمنة وسائل التواصل التي أصبحت حقيقة واقعية، ونستطيع القول في ظل هذا التداخل الحداثي والتقليدي والعقائدي، أن الفلكلور سَلِمَ من تأطير السيولة، لكن لم يسلم من التطويع عندما يستخدم كدلائل على التاريخ أو الاستشهاد.

وشاهد التطويع لا السيولة.. أن قيم المجتمع الغربي التي غدت سائلة وأن امتدت هذه السيولة على الاتجاهات السياسية عربياً، إلا أنها ما زالت عاجزة عن الامتداد على الفلكلور والقيم العربية. لأن دلائل الاستجابة متذبذبة اجتماعياً وأن كانت منسجمة ثقافياً ووسائلياً ممثلاً في شكل الانخراط بوسائل التواصل.

إن لوسائل التواصل هيمنة واضحة، والتقبل الاجتماعي وتقليد مبتكريها الغربيين واضحاً، فلا تنفك تدلف إلى إحدى تلك الوسائل وتجد مساهمات جمة لمختلف الشرائح والجماعات، لكنك بالمقابل تجد:

1. محاولة عكس القيم ومظاهرها.
2. تجد الرفض الاجتماعي وعلى ذات الوسائلْ للماسْ بتك القيم، حتى يصبح ذلك الموضوع أو القيم المحسوسة قضية رأي عام.

ويمكن القول أنه يمكن تطويع الفلكلور، وقد تم ذلك بالفعل في مواقف سياسية واقتصادية واجتماعية بما يتلاءم ومتطلب الحاجة إلى التغيير الاجتماعي.

5. مشروع التجديد

إن القول بتوفير الفرصة لإمكانية الارتقاء بالتطور للوصول إلى مصاف العالم المتقدم هو قول حالم ففي التقدم درجات، وإمكانية القول بالقدرة على الصمود أمام الآتي من هذا العالم قول خرف، وحسب نظرية باومن وحتى لا نكسر، فأنه علينا المطاوعة، لأن المجتمع العربي من الصعب عليه أن يكون سائلاً يتكيف في بعض قيمه الاجتماعية وفي مقدمته الشرف والعفة وقيمه الدينية التوحيدية وخير مثال على ذلك هو التعديل الأخير الذي أدخل على لعبة البوبجي، ((وقد تمثل بالسجود لصنم للحصول على مساعدة))، فقامت الدنيا ولم تقعد ومنعت من اللعب في بعض البلدان.

وحتى لا تكسر قيمنا بفعل الهيمنة بكل اشكالها، ولعدم قدرتنا على المواجهة، من الأفضل التعامل مع الواقع من خلال رؤية جديدة تتمثل بـ (الإدارة المعلوماتية للفلكلور العربي، وتخصيص جزء من ريع المال العربي لتهيئة نخبة من التقنين العرب، إلى جانب جماعة ساندة من أهل الاختصاص وذوي الخبرة العارفين بالفلكلور، لإعداد مشاريع ودراسات ونشر الفلكلور العربي، لأن من شأن ذلك أن يحدد علاقتنا بالآخر من منطلق التساوي الثقافي وليس من منطلق الدونية لسبق الآخر مجتمعنا تكنولوجياً.

إن النجاح لهذا المشروع يمكن تحقيقه، لأنه ليس مشروعاً من فراغ فالتطويع متحقق على مستوى الأفراد في نشاطاتهم على صفحات التواصل الاجتماعي، فيما ينشرون من انشطتهم التي يمنتجونها حريصين على إظهار الطابع الفلكلوري سواء بالرسم أو الكلمة.

الخاتمة

على طول عمر الحضارة، كانت هناك، فواصل تاريخية، كاكتشاف النار، أو اختراع الكتابة، أو ظهور مفهوم الدولة القومية، وفي عصرنا العولمة وما شاكل.

وفي كل مفصل حضاري يكون في الغالب تيار نظري يوصل له، ولاشك أن هناك نقطة انطلاق لهذا المفصل، تنطلق منها تجاه العالم، ومما لاشك فيه أيضاً، أن تكون هناك تيارات على اختلاف تجلياتها معارضة للتيار الجديد الذي حمله المفصل الحضاري.

وعلى طول عمر الحضارة كان الانتصار لهذا الجديد، وأما القديم فقد أخذ شكلين:

- معارض متزمت لهم أصبح أثراً بعد عين.
- معارض تكيف مع هذا الجديد، أصبح فلكلوراً.

وفي رأينا أن هذا الفلكلور وهو أما أمام مفصل الحضارة الحديثة (العولمة،، ووسائل التواصل وسواهما من مشخصات المفصل الحضاري الآني هو على ذات المحكين السابقين أما المعارضة للجديد ونهايته معروفة وأما التكيف مع هذا المفصل المهيمن في سبيل البقاء والمطواعية هي أفضل السبل للبقاء، ومن صور المطواعية إبراز وتمثيل وشخصنة فلكلورنا في وسائل التواصل بأسلوب محبب يبقي جوهرها حياً في أذهان جيل هذا المفصل الحضاري المهيمن (ثورة المعلومات التقنية).